الصاعقة الرابعة والستون: لك يا منازلُ في القلوب منازلُ(*)

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ ... أقفرتِ أنتِ وهنّ منكِ أواهلُ

يعلمنَ ذاكَ وما علمتِ وإنما ... أولاكُما يبكي عليه العاقلُ

وأنا الذي اجتلبَ المنيّةَ طرفُهُ ... فمنِ المطالبُ والقتيلُ القاتلُ

تخلُو الدّيارُ منَ الظباءِ وعندهُ ... منْ كلِّ تابعةٍ خيالٌ خاذلُ

اللاء أفتكُها الجبانُ بمهجتي ... وأحبُّها قُربًا إليّ الباخلُ

الرّاميات لنا وهنَّ نوافرٌ ... والخاتلاتُ لنا وهنّ غوافلُ

كافأننا عنْ شبهِهنّ منَ المها ... فلهنّ في غيرِ الترابِ حبائلُ

منْ طاعني ثغرِ الرّجالِ جآذرٌ ... ومنَ الرّماحِ دمالجٌ وخلاخلُ

ولِذا اسمُ أغطيةِ العيونِ جُفُونُها ... منْ أنها عملَ السيوفِ عواملُ

كمْ وقفةٍ سجرتْك شوقًا بعدما ... غري الرّقيبُ بنا ولجَّ العاذلُ[1]

دونَ التعانُقِ ناحلينِ كشكلتيْ ... نصبٍ أدقَّهما وصمَّ الشّاكلُ

إنعمْ ولذَّ فللأمورِ أواخرٌ ... أبدًا إذا كانتْ لهن أوائلُ

ما دمتَ منْ أربِ الحسانِ فإنما ... روقُ الشبابِ عليكَ ظلٌّ زائلُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبدالله بن الحسين الإنطاكي.

(١) سجرتك: ملأتك.

للّهـــو آونـةٌ تمُرّ كـــأنهَـــا قُـــبلٌ يزوِّدُها حـــبـــيبٌ راحلُ
جـمحَ الزمـانُ فـلا لذيذٌ خـالصٌ مما يشـوبُ ولا سـرورٌ كـاملُ
حـتى أبو الفـضل بنُ عـبـد اللهِ رُؤ يتُـهُ المنى وهي المقـامُ الهَـائلُ
ممطورةٌ طرُقي إليـهـا دونَهَـا من جـــودِه في كـل فـجٍّ وابـلُ
مـحـجـوبةٌ بسُـرادقٍ منْ هيـبـةٍ تثني الأزمّـــةِ والمطيُّ ذوامـلُ[1]
للشّمسِ فيه وللسّحابِ وللبحا رِ وللأسـودِ وللرياحِ شـمـائلُ
ولديهِ ملعـقـيـانِ والأدبِ المفـا دِ وملحـيـاةِ وملمـمـاتِ مناهلُ
لو لمْ يهبْ لجبُ الوفـودِ حـوالَهُ لسـرى إليـهِ قطا الفـلاةِ الناهلُ
يدري بما بِكَ قـبل تظهـرُهُ له من ذهنِهِ ويجـيبُ قـبلَ تسـائلُ
وتراهُ مـعـتـرضًـا لهـا ومـولّيًـا أحـداقنا وتحـارُ حينَ يُقـابلُ
كلمـاتُهُ قـضبٌ وهنّ فـواصل كلُّ الضـرائبِ تحـتـهنّ مـفـاصلُ
هزمتْ مكارمُـهُ المكارمَ كلَّهـا حـتى كـأنَّ المكرمـاتِ قنابلُ
وقَـتَلْنَ دفـرًا والدُّهيمَ فـمـا ترى أمَّ الـدُّهـيـمِ وأمَّ دفـــرٍ ثـاكـلُ[2]
عـلاَّمـةُ العلمـاءِ واللُّجُّ الذي لا ينتـهي ولـكلِّ لُجّ سـاحلُ
لو طابَ مـولدُ كلِّ حيٍّ مـثلهُ ولدَ النسـاءُ ومـا لهنّ قـوابلُ

(١) الذوامل: المسرعات.
(٢) أم الدهيم، وأم دفر: كنيتا الداهية. والدفر: النتن.

لو بانَ بالكرمِ الجنينُ بيانَه ... لدرتْ به ذكرٌ أم أنثى الحاملُ

ليزدْ بنو الحسنِ الشِّرافُ تواضُعًا ... هيهاتِ تُكتمُ في الظلامِ مشاعلُ

جفختْ وهم لا يجفخونَ بها بهمْ ... شيمٌ على الحسَبِ الأغرّ دلائلُ[1]

متشابهو ورعِ النفوسِ كبيرُهم ... وصغيرُهم عفُّ الإزارِ حُلاحِلُ[2]

يا أفخَرُ فإنَّ الناسَ فيكَ ثَلاثَةٌ ... مستعظمٌ أو حاسدٌ أو جاهلٌ

ولقد علوتَ فما تُبالي بَعدَما ... عرفوا أيحمدُ أم يَذمُّ القاتِلُ

أُثني عليكَ ولو تشاءُ لقلتَ لي ... قصرتَ فالإمساكُ عني نائلُ

لا تجسُرُ الفصحاءُ تنشدُ ههنا ... بيتًا ولكني الهزبرُ الباسِلُ

ما نالَ أهلُ الجاهليةِ كلُّهم ... شعري ولا سمعتْ بسحري بابِلُ

وإذا أتتكَ مذمتي منْ ناقصٍ ... فهي الشهادةُ لي بأني كاملُ

منْ لي بفهمِ أُهيل عصرٍ يدّعي ... أن يحسبَ الهنديَّ فيهم باقِلُ[3]

وأما وحقِّك وهو غايةُ مقسمٍ ... للحق أنتَ وما سواكَ الباطِلُ

الطيب أنتَ إذا أصابك طيبُهُ ... والماءُ أنتَ إذا اغتسلتَ الغاسلُ

ما دارَ في الحنكِ اللسانُ وقلّبتْ ... قَلمًا بأحسَنَ منْ ثَنَاكَ أنامِلُ

---

(١) جفخت: فخرت وتكبرت.

(٢) الحلاحل: السيد الكريم الخلق.

(٣) باقل: رجل يضرب به المثل في البلاهة.